المقدمة

القولون ذلك العضو حاتمى الكرم هو ذلك العضو المعطاء الكريم فى تعاملاته مع الأنابيب الجوفاء التى تكون جزءًا هامًا فى جسم الإنسان. ولقد عُرف حاتم الطائى بالكرم لأنه كان يبالغ فى إكرام الضيف ولكن بكل المقاييس فإنه كان يجود بما يملك. أما القولون فقد تخطى تلك المرحلة فى كرمه فإنه عضو يُؤثر سائر الأعضاء التى تحتاج إليه على نفسه فقد يجود أحيانًا بجزء منه. ففى أمراض المرىء التى يحدث فيها ضيق شديد مثل ابتلاع مادة كاوية تكون نتيجتها ضيق المرىء يمكن استبدال المرىء كاملاً من بعد البلعوم حتى المعدة بأنبوبة من القولون يقوم بوظيفة المرىء المريض، وساعده على ذلك امتلاكه لشريان كبير ملاصق له يمتد من أوله إلى آخره «الشريان المار جينالى» ويعود المريض سليمًا معافى بفعل الكرم القولونى. وفى أمراض المثانة التى تستوجب استئصالها يمكن أن تؤخذ بداية القولون «المصران الأعور» وهى تشبه المثانة إلى حدٍّ كبير، ويعمل منها مثانة جديدة بدلاً من تلك التى تم استئصالها.

وفى مرحلة من المراحل وإلى وقت ليس بالبعيد كان يتم زرع الحالبين فى القولون فى بعض الحالات المرضية، وفى المراحل القريبة أيضًا كان يتم توصيل الوريد المساريقى القادم من القولون بالوريد الأجوف السفلى لتخفيف

ضغط الدم فى الوريد البابى وتحسين حالة القىء الدموى. والمتأمل فى اللغة يجد أن أشياء كثيرة قد ارتبطت بالقولون مثل (كولون) المدينة الألمانية الجميلة، ومستعمرة (كولونى) والرتبة العسكرية (كولونيل)، واشتق من القولون اشتقاقًا مباشرًا، أدوية كثيرة للقولون مثل (كولوسبازم، كولومنت، كولونا.. الخ) هذا العضو المعطاء لا نجد أى عضو يتطوع ليعطيه شيئًا. ذلك لأنه ثرىّ شكلاً وعملاً وحجمًا ومتفرد فى وظيفته، فالجزء الذى ينتقل منه يتأقلم مع عائله الجديد، ولا يستطيع أىُ عضو آخر أن يتأقلم مع حياة القولون إذا انتقل إليه. وعلى الرغم من ذلك القدر الكبير من العطاء بالنسبة للقولون فإن كثيرًا من الطفيليات تعيش متطفلة على ذلك الجزء الهام من الجهاز الهضمى ويرجع ذلك أيضًا إلى ثراء القولون بمحتوياته من الفضلات التى يمكن أن تجد فيها تلك الطفيليات وجبات جيدة من الغذاء إلى جانب ما يقوم به القولون من إفراز المادة المخاطية من الغشاء المخاطى الذى يغلف تجويف القولون وتلك المادة المخاطية تحتوى على نسبة كبيرة من الزلال. والزلال كما نعرف عبارة عن مادة بروتينية إلى جانب ما يحتويه ذلك المخاط من أملاح مثل البوتاسيوم والصوديوم وهى مواد تستطيع الطفيليات أن تحصل عليها بسهولة. خاصة أن تنبيه الطفيليات وإثارتها للخلايا التى تفرز المخاط تجعلها تفرزه بكميات وفيرة، ولعل القارئ قد لاحظ ذلك فى حالات الإصابة بالأميبا والدوسنتاريا. والحقيقة أن الدوسنتاريا هى عرض لأمراض، وأنه بعلاج المرض المسبب لها يتم القضاء على ذلك العرض ويساعد أيضًا على تطفل تلك الطفيليات لتعيش عالة على

القولون لما يعاملها به القولون من معاملة طيبة هى جزء أصيل فى تكوينه. ذلك أن القولون متعادل تقريبًا يميل قليلاً إلى القلوية الخفيفة.. وفى بعض الحالات إلى الحمضية الخفيفة التى يعادلها الإفراز المخاطى بعكس المعدة التى تزداد فيها درجة الحموضة مما يساعد على هضم الطعام وهروب الطفيليات من تلك البيئة الحمضية الموجودة بالمعدة. وتتميز منطقة الاثنى عشر بالقلوية الشديدة اللازمة لكى تعادل درجة الحموضة القادمة من المعدة. وذلك يجعل الطفيليات تفر هاربة منها وتصير طفيلاً ضل طريقه وهذا نادر. أما درجة الحموضة القادمة من المعدة فهى نتيجة لإفراز حمض الهيدروكلوريك الذى تفرزه خلايا جدار المعدة بغرض هضم المواد الغذائية. بعكس المادة القلوية التى تصب فى الاثنى عشر من القناة المرارية بفعل انقباض المرارة، وطرد محتوياتها إلى قناة المرارة ثم إلى القناة المرارية وتستمر عبر محبس عند الاثنى عشر يسمى محبس أوداى وفى ذلك المكان تصب عصارة البنكرياس التى تنشط إنزيماتها فى وجود العصارة الصفراء القادمة من المرارة وتقوم بعملية الهضم للمواد الدهنية أما الأمعاء فهى فى حركة دائبة ومستمرة لامتصاص الغذاء المهضوم القادم إليها من المعدة عبر الاثنى عشر.

إذا نظرنا إلى القولون نجد أن وظيفته تتلخص فى امتصاص ما تبقى من الأمعاء الدقيقة وهذا لا يستلزم حركة دائبة مما يجعل الطفيليات فى حالة مستقرة من ناحية، ودرجة الحموضة والقلوية من ناحية ومن ناحية أخرى الحركة الفعلية حيث إن القولون يعتبر مخزنًا للفضلات،

ولا ينشط فى الحركة إلا فى مرات قليلة عبر اليوم الكامل مرة واحدة أو مرتين عندما يفتح الشرج لإخراج تلك الفضلات. ويكون ذلك عبر فترة قصيرة من الوقت تعد بالدقائق وهذا يعنى أن القولون بثرائه الخلقى وهدوئه يحنو على الطفيليات ويهدهدها، ويغذيها ويسقيها ويمدها بالسوائل اللازمة لحياتها ونموها ويقوم بإخراج فضلاتها مع ما يخرجه من فضلات.

وقد يرى القولون أن من واجبه المحافظة على حياة تلك الطفيليات حتى لا تنقرض.. ولكن على الجانب الآخر نرى الطفيليات تعامله كمستعمرة خاصة لها وتستبيح لنفسها محيطه الإقليمى، وخلاياه التى تكون وحدات بنائه المعمارى، ودمه الذى هو سرُّ حياته.. يرعاه القولون وهو بويضة، ويحنو عليه وهو دودة صغيرة حتى إذا كبر الطفيل أنكر كل ما حدث، وجحد ما أولاه من نعمة، وانقض عليه بلا رحمة يحطمه، ويرتع فى خيراته وكأنه يقول:

الأمس كان زمانكم غلفت ضعفى بالأمانى
والآن صرت مريضنا أزمانكم صارت زمانى

ويرد عليه القولون:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجانى

يا لها من مهزلة بين القوى الحنون (القولون) وبين الصغير الخسيس المتطفل الذى يعيش عالة على القولون حتى أنهكه وهو الطفيل. ويكفى

اسمه فكلمة طفيل تصغير لكلمة طفل وهي تعنى الذى يعيش عالة على الآخرين فالطفل الصغير يعيش متطفلاً على من يعوله، وقد تعرف الكلمة بمعناها اللغوى وقد توضع الكلمة كتعريف علمى يقصد به المنوّه عنه مثل كلمة الزكاة لغة، والزكاة شرعًا.. وعلى هذا فكلمة طفيل يقصد بها علميًا: الكائن الدقيق الذى يعيش متطفلاً على غيره من الكائنات الكبيرة ومعناه بالإنجليزية Parasite ومن الجدير بالذكر أن الطفيليات ليست وحدها هى التى تعيش فى القولون ولكن توجد به أنواع من البكتريا تؤدى إلى تخمر الفضلات وتحليلها إلى مواد يعاد امتصاصها وهى بكتريا نفعية أى تنتفع من القولون بالتغذية وتنفعه بإمداده ببعض المواد الهامة، وعملية التخمر والتحليل هى التى ينتج عنها الغازات التى تخرج من القولون عبر فتحة الشرج وتسمى هذه البكتريا Commensals وهى أيضا تنتظر فى ترقب ظهور حالة ضعف فى الجسم لتتحول إلى بكتريا شديدة الافتراس والخطورة ومنها ذلك الميكروب الشرس والعنيد المسمى (إى كولاى) E. Coli وحرف E هو اختصار لكلمة (إشيرشيا) فى بعض اللغات، و (إسكريكيا) فى بعض اللغات الأخرى. فمثلاً فى الدومنيكان يوجد اسم هوسف وفى اللغة العربية يوسف، وفى الإنجليزية جوزيف ومؤنثه فى الدومنيكان هوسفينا، وفى الإنجليزية جوزفين، ولا يوجد له مؤنث فى اللغة العربية.

المؤلف